

## التحرير والتنوير

وقوله ( لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ) تعليل أول ل ( أثابكم ) أي ألهاكم بذلك الغم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وما أصابكم من القتل والجراح فهو أنساهم بمصيبة صغيرة مصيبة كبيرة وقيل : ( لا ) زائدة والمعنى : لتحزنوا فيكون زيادة في التوبيخ والتنديم إن كان قوله " أثابكم " تهكما أو المعنى فأثابكم الرسول غما على ما فاتكم : أي سكت عن تثريبكم ولم يظهر لكم إلا الاغتمام لأجلكم لكيلا يذكركم بالتثريب حزنا على ما فاتكم فأعرض عن ذكره جبرا لخواطرهم . وقيل : المعنى أصابكم بالغم الذي نشأ عن الهزيمة اعتادوا نزول المصائب فيذهب عنكم الهلع والجزع عند النوائب .

وفي الجمع بين ( ما فاتكم ) و ( ما أصابكم ) طباق يؤذن بطباق آخر مقدر لأن ما فات هو من النافع وما أصاب هو من الضار .

( ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاسا يغشى طائفة منكم ) الضمير في قوله " ثم أنزل " ضمير أسم الجلالة وهو يرجح كون ضمير ( أثابكم ) مثله لئلا يكون هذا رجوعا إلى سياق الضمائر المتقدمة من قوله ( ولق صدقكم اﻻ وعده ) والمعنى ثم أغشاكم بالنعاس بعد الهزيمة . وسمى الأغشاء إنزالا لأنه لما كان نعاسا مقدرًا من اﻻ لحكمة خاصة كان كالنازل من العوالم المشرفة كما يقال : نزلت السكينة .

والأمانة بفتح الميم الأمن والنعاس : النوم الخفيف أو أول النوم وهو يزيل التعب ولا يغيب صاحبه فلذلك كان أمانة إذ لو ناموا ثقيلًا لأخذوا قال أبو طلحة الأنصاري والزبير وأنس بن مالك : غشنا نعاسا حتى أن السيف ليسقط من يد أحدها . وقد استجدوا بذلك نشاطهم ونسوا حزنهم لأن الحزن تبتدئ خفته بعد أول نومة تعفيه كما هو مشاهد في أحزان الموت وغيرها . و ( نعاسا ) بدل على ( أمانة ) بدل مطابق .

وكان مقتضى الظاهر أن يقدم النعاس ويؤخر أمانة : لأن أمانة بمنزلة الصفة أو المفعول لأجله فحقه التقديم على المفعول كما جاء في آية الأنفال ( إذ يغشاكم النعاس أمانة منه ) ولكنه قدم المنة هنا تشريفا لشأنها لأنها جعلت كالمنزل من اﻻ لنصرهم فهو كالسكينة فناسب أن يجعل هو مفعول أنزل ويجعل النعاس بدلا منه .

وقرأ الجمهور : يغشى بالتحية على أن الضمير عائد إلى نعاس وقرأه حمزة والكسائي وخلف بالفوقية بإعادة الضمير إلى أمانة ولذلك وصفها بقوله ( منكم ) .

( وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون باﻻ غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله ﻻ يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما

قتلنا هاهنا ) لما ذكر حال طائفة المؤمنين تخلص منه لذكر حال طائفة المنافقين كما علم من المقابلة ومن قوله " يظنون باء غير الحق ظن الجاهلية " ومن ترك وصفها بمنكم وصف الأولى .

( وطائفة ) مبتدأ وصف بجملة ( قد أهتمهم أنفسهم ) . وخبره جملة ( يظنون باء غير الحق ) والجملة من قوله ( وطائفة قد أهتمهم ) إلى قوله ( واء عليم بذات الصدور ) اعتراض بين جملة ( ثم أنزل عليكم ) الآية . وجملة ( الذين تولوا منكم ) الآية . ومعنى ( أهتمهم أنفسهم ) أي حدثهم أنفسهم بما يدخل عليهم الهم وذلك بعدم رضاهم بقدر اء وبشدة تلهفهم على ما أصابهم وتحسرهم على ما فاتهم مما يظنونه منجيا لهم لو عملوه : أي من الندم على ما فات إذ كانوا كذلك كانت نفوسهم في اضطراب بمنعهم من الاطمئنان ومن المنام وهذا كقوله الآتي ( ليجعل اء ذلك حسرة في قلوبهم ) . وقيل معنى ( أهتمهم ) أدخلت عليهم الهم بالكفر والارتداد وكان رأس هذه الطائفة معتب بن قشير .